الكلام في المشكل من النصوص

..... يقول: وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظا، وترك التعرض لمعناه -أي لتأويله ولصرفه عن مدلوله، أما المعنى الحقيقي فإنهم يثبتونه، يثبتون معناه، فيعرفون أن السمع: إدراك الأصوات. وأن الله تعالى سميع، يسمع دبيب النملة السوداء على الصفاة السوداء في ظلمة الليل، وأنه بصير يري جريان الماء في عروق الأشجار، وأن البصر: هو إدراك المبصرات. وأن العلم: هو إدراك المعلومات. وما أشبه ذلك. فهم يثبتون المعاني. وأما قوله: ترك التعرض لمعناه: فلعله يريد ترك التعرض لتأويله، أو ترك التعرض لتشبيهه، أو ما أشبه ذلك، أو ترك التعرض لتكييفه. نعرف أن صفات الله تعالى ثابتة؛ ولكن لا نقدر على تكييفها، ولا يصل إليها أفهام البشر؛ بل يثبتونها ويعجزون عن إدراك كيفيتها، وعن إدراك كنهها وماهيتها؛ بل حتى عن إدراك كنه مخلوقاته، نحن نرى هذا القمر؛ ولكن لا ندري من أي شيء هو، هل هو من ذهب هذا القمر، أو أنه من فضة، أو أنه من زجاج، أو أنه من حجارة، أو من تراب؟ هذا القمر الذي نشاهده عجزنا عن إدراك ماهيته، ومن أي شيء هو. وكذلك هذه الشمس التي تطلع علينا كل يوم، لا ندري من أي شيء هي؛ تصل إلينا حرارتها وشعاعها؛ ومع ذلك نعجز عن أن ندرك ماهيتها، ومن أي شيء هي؟ هل هي نار تشتعل تصل حرارتها إلينا؟ أم هي وبأي شيء تتقد؟ بأي شيء وقودها؟ النار إذا أوقدناها وأكلت ما فيها من الوقود انطفأت، وهذه الشمس دائما وهي تشتعل؛ ومع ذلك لا ندري بأي شيء وقودها، لا ندري ماهيتها، فإذا عجزنا عن إدراك ماهية هذه المخلوقات؛ مع أنها مخلوقات نشاهدها بالأبصار، فكيف مع ذلك نصل إلى معاني؛ يعني إلى كيفية صفات الله تعالى؟ نحن نعرف أن الله تعالى فوق العباد بذاته، ونعرف أنه استوى على العرش؛ ولكن كيفية الاستواء لا نعرفها، ونعرف أن لله تعالى عرش عظيم؛ ولكن من أي شيء هذا العرش؟ من جوهر، من ذهب، من تراب، من خشب، من زجاج؟ لا ندري، الله أعلم بذلك. عجزنا عن إدراك ماهية هذه المخلوقات، فبطريق الأولى عن إدراك كيفية صفات الله سبحانه وتعالى. يقول: ونرد علمه إلى قائله: يعني: تكييفه إلى قائله، يعني إلى الله تعالى، وإلى رسوله. ما ورد إلينا من الكنه والكيفية نقول: الله ورسوله أعلم. ونجعل عهدته على ناقله إن كان فيه شيء من الخطأ، فالعهدة على الذين نقلوه، إذا وثقنا بأنهم صادقون قبلنا ذلك، وإذا شككنا فيه نقول: هكذا ورد، فنصدقهم؛ لكونهم هم الذين نقلوا الشريعة لنا، نجعل عهدته على ناقله؛ اتباعا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله تعالى عليهم في كتابه المبين بقوله تعالى: { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا } يعني: آمنا بما جاء من المتشابه الذي نعجز عن كيفيته، المتشابه الذي يشتبه علينا كيفيته وماهيته فنقول: آمنا به { كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا } هكذا طريقة الراسخين في العلم.